«والله ما أقدر»

علي محمود خاجه
A.m.khajah@gmail.com

مصيبتنا مصيبة إدارة تتحملها الحكومة الحالية والحكومات السابقة أيا كان هذه الحكومات، فما هو مرفوض هنا مقبول هناك، وما هو صالح في تلك الزاوية فاسد في الزاوية المقابلة لأنه وباختصار لا آلية ولا طريقة ولا مسطرة ولا قانون، بل اجتهادات تصيب مرة وتخطئ ألف مرة.

لماذا لا تكتب عن مآسي وزارة الصحة؟ هل تعلم أن هناك طوابير من الوافدين يحتاجون للعلاج الفوري، ولكن لا يتم علاجهم والسبب عدم قدرتهم على دفع مبالغ العلاج؟

لماذا لا تكتب عن تخبطات وزارة الأشغال؟ هل تذكر أنك مررت في شارع بالكويت يخلو من الحفر؟

لماذا لا تكتب عن مآسي مجمع الصوابر السكني؟ هل تعلم أن بعض ملاك الشقق في هذا المجمع قاموا بتأجير شققهم على وافدين وعزّاب ليتحوّل مجمع الصوابر في عاصمة الكويت إلى مكان قذر مشبوه؟

لماذا لا تكتب عن مؤسسات الدولة الخدماتية؟ هل تعلم أن الموظفين الكويتيين باتوا يتلقون الرشاوى التي قد يصل مستواها إلى كروت تعبئة الهاتف من أجل تخليص الأعمال والمعاملات؟

لماذا لا تكتب عن أبناء الكويتيات الأرامل والمطلقات؟ هل تعلم أن هناك ما يفوق الألف مستحق ومستحقة للجنسية الكويتية من هؤلاء الأبناء لم يتم منحهم الجنسية بعد، والسبب أن مجلس الوزراء لم ينهِ التوقيع بعد؟

لماذا لا تكتب عن دولة اسمها جليب الشيوخ؟ هل تعلم أنها باتت دولة مستقلة بذاتها ولا يستطيع أي نظام أن يحكمها؟

لماذا لا تكتب عن القاذورات التي أزكمت أنوف أهل مشرف ولوثت بحر المسيلة منذ عامين أو أكثر؟ هل تعلم أن لجان التحقيق لم تنته بعد من التحقيق؟

أستطيع أن أستمر بسرد ما تم اقتراحه عليّ خلال الفترة القصيرة الماضية ما بين واقع ومبالغة من ناقلي المواضيع دون توقف، وأعلم أن كلاً منكم لديه العشرات من المصائب التي لم أذكرها أو أسمع بها حتى، بل إني لو طلبت من أي شخص أن يذكر لي 10 إيجابيات (وأقول هنا إيجابيات وليس وضعا طبيعيا مفروضا) في هذا البلد الصغير سيجد صعوبة بالغة في ذكر ذلك، هذا إن حصل على عشر إيجابيات أصلا.

ولكن فعلا لماذا لا أكتب عن كل تلك المشاكل رغم أهميتها لكثير من الناس وملامستها لهمومهم مباشرة؟

إجابتي يا سادتي وبكل بساطة أنني لا أرى جدوى في ذلك أبدا، فأنا لست ببلد يسير جيدا باستثناء بعض الهفوات هنا وهناك، كي أشير أنا أو غيري لها فيتجاوب المسؤولون وتنصلح الحال، فالمأزق أكبر من ذلك بكثير، فنحن لم نعد بحاجة لتقويم اعوجاج بسيط أو حتى كبير في مؤسسة أو إدارة أو وزارة واحدة، بل إن المشكلة مشكلة نظام وآلية عمل مفقودة وهوية مبتورة.

نعم مصيبتنا مصيبة إدارة تتحملها الحكومة الحالية والحكومات السابقة أيا كان هذه الحكومات، فما هو مرفوض هنا مقبول هناك، وما هو صالح في تلك الزاوية فاسد في الزاوية المقابلة لأنه وباختصار لا آلية ولا طريقة ولا مسطرة ولا قانون، بل اجتهادات تصيب مرة وتخطئ ألف مرة، ولن أتمكن أبدا من إبقاء بيتي في وسط الصحراء خاليا من الرمال مهما أجريت من عمليات تنظيف مادمت لا أغلق الثغرة الكبيرة التي تدخل الرمال، ولن يفيدني جهدي في التنظيف والعناية ما دامت الثغرة موجودة، هذه هي حال بلادي، ولهذا لا أكتب إلا عن الفتحة ومشاكلها ولا أهتم بالأوساخ المرمية في أطراف البيت، فمتى ما سُدّت الثغرة سهل التنظيف.

د. ابتهال عبدالعزيز الخطيب

في انتظار فايز وفوزي

أن تعمل في قضية إنسانية لإيمانك بها هو إشباع للروح واستجابة لغريزة البقاء، ولكن أن تعمل في قضية إنسانية لإحساسك المباشر بأصحابها بالإضافة إلى إيمانك بها، ذاك بعد آخر للعمل مشبع بعاطفة هي أشد ما يحتاجه العمل الإنساني. ولقضية معتقلي غوانتنامو بعد مبدئي وأضح يستلزم إغلاق هذا السجن المتوحش الذي يفرض سلطته الفاحشة ليس بقوة القانون، إنما بقوة "الذراع" التي تهبط بالبشر من الدرجة الإنسانية الرفيعة إلى تلك المتوحشة التي تعتاش على فكرة أن "أقوى المنطق دوماً ما يستسلم لمنطق القوة" كما عبر عنها الشاعر الفرنسي الرائع جان دو لافونتين.

ولكن، لقضية غوانتنامو بعد شخصي بالنسبة لي بعد أن بدأت العمل المباشر بها مع السيد خالد العودة، رئيس لجنة المعتقلين الكويتيين في غوانتنامو، ووالد فوزي العودة، أحد آخر اثنين معتقلين كويتيين في غوانتنامو بجانب فايز الكندري، والدكتور غانم النجار رئيس مركز السلام والناشط الحقوقي المعروف في الكويت.

للقضية أبعاد رئيسة: أولها البعد الإنساني الرافض لشريعة الغاب التي يدار بها موضوع المعتقل ويعامل بها مسجونيه، وثانيها الوطني الرافض لاحتجاز اثنين من أبنائنا الكويتيين، وكما يتسرب لنا الآن من أخبار، لمدى الحياة ودون أي فرصة في التقدم للمحاكمة، وهو ما يجب أن يثير الكرامة الكويتية أمام العالم أجمع، وبالنسبة لي، للقضية بعد ثالث شخصي تمحور وتطور في نفسي بعد العمل مع السيد خالد العودة والدكتور غانم النجار.

و"أبو فوزي" رجل هادئ، تسبقه ابتسامة رائقة حيث يذهب، لكنها ابتسامة سريعة، سرعان ما تختبئ خلف جدية عمله، يبدو لك عند لقياه مغموساً في القضية إلى أطراف عقاله، فهو متحدث متمكن من معلوماته الموثقة والمرتبة بشكل خلاب في ذاكرته، مترجمة على طرف لسانه مباشرة لإنكليزية متقنة، محايد بعناد لأبوته، معتبراً كل تحرر لمعتقل انتصارا شخصيا له، موزعاً جهوده بمساواة مؤثرة بين فوزي وفايز كرئيس للجنة المعتقلين وكأب لكليهما. لا أدري إن كان أبو فوزي يأكل وينام مثل بقية البشر، لكنني أعلم تماماً أنه هناك، دوماً على استعداد، مسلح بهدوئه وحياده ومعلوماته المصنفة بترتيب "كمبيوتري"، وابتسامته، تلك التي قد تكون أهم أسلحته وهي تفرض الأمل على كل من يعمل معه في قضيته الإنسانية. في نهاية زيارتنا الأخيرة لمركز تأهيل معتقلي غوانتنامو المعد بإتقان وبأهلية عالية، لفظت سؤالي قبل مراجعته: "كم مضى على احتجاز فوزي يا "أبا فوزي"؟" في ثانية من الزمان طرفت عيناه، ثم أجاب بلا تردد "في يناير المقبل يكمل عشر سنوات" ولم يزد وكأن عداداً يدور في رأسه حاسباً الثواني والدقائق على بعد فلذة كبده.

عشر سنوات تعلقت فيها روحه وروح "أم فوزي"، ولا شيء أقسى من ألا تدري إلا أن تدري أن المصير معلق على مصالح سياسية ونتائج انتخابات عوضاً عن القانون والعدالة. عشر سنوات تتأرجح خلالهما عائلتا العودة والكندري على حبال أمل منذور لأقسى أنواع الصلف والوحشية: سجن بلا محاكمة، سنوات بلا نهاية، مصير بلا تحديد.

وعندما ينتهك الحق الإنساني بهذه الدرجة من الترويع، يظهر في الصورة الدكتور غانم النجار، ثاني الاثنين المحاربين في هذه القضية الذين تشرفت بالانضمام للعمل معهما. والدكتور غانم رجل قليل الكلام، كثير الإنصات، قد تكون الطريقة الوحيدة لتتبع عدم رضاه هو تتبع عدد كلماته، فهو يقللها على قلتها، فإذا هبطت جملته من عشر إلى أربع كلمات، فهو بلا شك مستاء، والدكتور محارب إنساني لا يعرف الرحمة في مسائل الرحمة، يقضي وقتاً لا يعلم به أحد بين الصومال واليمن وغيرها متتبعاً القضايا الإنسانية، مفاوضاً وفاضاً للنزاعات، ثم لا يلبث أن "يزور" الكويت، هادئاً مبتسم العينين، وكأن الدنيا كلها بخير. تستغرق قضية غوانتنامو، إلى جانب قضية البدون، روح الدكتور، يختصر الغضب حديثه وهو يستعرض ظلم القرن الحادي والعشرين، ظلم من النوع الذي يجب أن تقرأ عنه في كتب التاريخ عن العصور المظلمة لا أن تعيشه في زمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

العمل معهما مرهق ثقيل، يثير عليك ضميرك، يسائلك إخلاص نواياك، يحرق كل ما يغلفك من زيف ويضغط بمسمار حارق أعماقك الإنسانية، حتى تنجرح نفسك جرحاً لا يندمل، فتنضم إلى الفريق وأنت مؤمن، محروق، طرف صريح في القضية. ليس أصعب من متابعة مثل قضية ابنينا المأسورين، سوى متابعتها مع خالد العودة وغانم النجار، ينكأن ضميرك في كل لحظة، ينظفان زيفك بإخلاص حارق، أنعم بذلك من عذاب وأكرم به من شرف.

«البدون»... هل من جديد؟

د. بدر الديحاني
dai7aani@gmail.com

لا يزال في الوقت متسع لكي تقوم الحكومة بإعلان تفصيلي لسياستها الجديدة المتعلقة بمعالجة مشكلة «البدون»، والتي نأمل أن تكون سياسة عامة جديدة فعلا وناجحة تختلف عن السياسات السابقة الفاشلة، وتعالج هذه المشكلة الإنسانية من جذورها بعد أن أصبحت ميدانا للمزايدات السياسية والتكسب السياسي.

صرحت الحكومة أخيراً بأن لديها سياسة عامة جديدة لحل مشكلة "البدون" بشكل جذري، وهي المشكلة التي ازدادت تعقيدا وتشابكا بعد أن فشلت السياسات الخاطئة التي تبنتها الحكومة في العقود الماضية في إيجاد حل جذري لها ما أدى إلى تفاقمها مع مرور الزمن.

فما هذه السياسة الحكومية الجديدة؟

لا أحد يعرف، إذ ليس باستطاعة أحد الادعاء بأنه يعرف على وجه الدقة ما إذا كان هنالك سياسة حكومية جديدة فعلا لمعالجة مشكلة "البدون" لسبب بسيط جداً، وهو أن الحكومة لم تعلن حتى الآن بشكل واضح وشفاف سياستها العامة الجديدة بما فيها مبررات رسمها وإقرارها ودرجة الاختلاف والتشابه بينها وبين السياسات الحكومية السابقة، كما أنها لم تفصح بشكل واضح لا غموض فيه عن محتويات هذه السياسة العامة الجديدة، ولم تعط أي تفاصيل عن كيفية تشخيصها الجديد للمشكلة التي ستعالجها هذه السياسة العامة ونوعية الحلول التي وضعتها للقضاء عليها، بل إن الحكومة اكتفت، عوضا عن ذلك، بما تناقلته وسائل الإعلام بشكل مجزأ ومختصر عن فحوى التقرير الذي قدمه لمجلس الوزراء الأستاذ صالح الفضالة رئيس اللجنة المنبثقة من المجلس الأعلى للتخطيط والتنمية، والمكلفة بدراسة مشكلة "البدون" بالرغم من أن ما تناقلته وسائل الإعلام لم يكن كافيا لشرح السياسة الحكومية الجديدة التي طال انتظارها، وهو ما يعتبر خللا واضحا في طريقة عمل الحكومة، إذ من المفترض أن تقوم الحكومة دائما بشرح تفصيلي واف وشفاف لمحتويات سياساتها العامة الجديدة يتضمن الدفاع عن مبررات تبنيها لهذه السياسات دون غيرها، وتوضيح آليات وأساليب عملية تنفيذها، خصوصا أن لأفراد المجتمع دورا مؤثرا في صياغة السياسات العامة وفي عملية تنفيذها أيضا.

إنه لأمر محير حقا أن تغلف الحكومة سياساتها العامة غالبا بغلاف مبالغ فيه من الغموض والسرية في الوقت الذي يتحدث فيه العالم اليوم عن الحكومة الشفافة التي تشرح للناس السياسات العامة التي ستطبقها والقرارات والإجراءات التي ستتخذها حتى تضمن تأييدهم ودعمهم لها، الأمر الذي يساهم في نجاح السياسات الجديدة، إذ إنه من المعروف أن أي سياسة عامة لا يعرف الناس، أصحاب الشأن، عنها شيئا فهي سياسة فاشلة لا داعي لإضاعة الوقت والجهد والمال في رسمها من الأساس.

لكن وبالرغم من ذلك فإنه لا يزال في الوقت متسع لكي تقوم الحكومة بإعلان تفصيلي لسياستها الجديدة المتعلقة بمعالجة مشكلة "البدون"، والتي نأمل أن تكون سياسة عامة جديدة فعلا وناجحة تختلف عن السياسات السابقة الفاشلة، وتعالج هذه المشكلة الإنسانية من جذورها بعد أن أصبحت ميدانا للمزايدات السياسية والتكسب السياسي، وأضحت مشكلة شائكة تتداخل فيها عوامل كثيرة داخلية وخارجية.

ومن الآن وحتى تعلن الحكومة سياستها الجديدة الخاصة بمعالجة مشكلة "البدون" بشكل واضح وصريح وشفاف فإن السؤال لا يزال قائما، وهو: ترى هل من جديد لدى الحكومة لمعالجة هذه المشكلة المعقدة بشكل جذري؟ نأمل ذلك.

«فكر الغلو» بوابة «العمل الإرهابي»

د. عبدالحميد الأنصاري *
aeansari@qu.edu.qa

في الوقت الذي كان وزراء داخلية مجلس التعاون الخليجي يعقدون اجتماعهم الدولي الـ29 في الكويت ويناقشون سبل التنسيق وتبادل المعلومات بين الأجهزة الأمنية بهدف رصد تحركات وأنشطة التنظيمات الإرهابية وملاحقة عناصرها وتجفيف منابعها، كان دوي التفجيرات الإرهابية في بغداد على مقربة منهم ويترامى إلى مسامعهم!

عاد الإرهاب أشد ضراوة ووحشية وأخذ يستهدف المباني الدينية خاصة، مثل المساجد والأضرحة والكنائس بعملياته البشعة، من أبرزها مذبحة كنيسة "سيدة النجاة" في بغداد وراح ضحيتها أكثر من 60 قتيلاً، والتفجير الانتحاري بمسجد في بيشاور وأسقط 70 قتيلاً، استعاد الإرهاب عافيته ورجع أكثر فتكاً وأخذ يركز على المفاصل الرخوة بعد إحكام الحصار عليه وملاحقته، أخذ يطور وسائله ويبتكر طرقاً جديدة للاختراق والوصول إلى الأهداف بغية بث أكبر قدر من الترويع والذعر، إظهاراً للقوة والتحدي والمناورة والحضور وجذباً للأتباع، وكان من آخر وسائله الجديدة تفخيخ طرود الشحن الجوية، وهذا يشكل تحدياً أمنياً جديداً ويزيد القيود على حركة الناس وتنقلاتهم كما يعرقل انسيابية السلع والخدمات ويلقي بمزيد من العبء على الأجهزة الأمنية.

والتساؤل المطروح: لماذا عاد الإرهاب نشطاً رغم الملاحقة الأمنية الناجحة والتي أجهضت المئات من مخططاته وفككت المئات من خلاياه وقضت على الآلاف وقبضت على آلاف أخرى قدموا إلى المحاكمة؟!

الأجهزة الأمنية بدول المجلس أثبتت كفاءة منقطعة النظير في تصديها لجماعات الشر والفساد، قضت على خطورتهم وطهرت الخليج من عملياتهم الإجرامية وحققت الأمن والاستقرار، وأصبح أمام الإرهابي خياران لا ثالث لهما: إما أن يقتل وإما أن يفر إلى دول أخرى، ويبقى أن نقول إن الأمن- وحده- لن يستطيع تجفيف "منابع الإرهاب" طبقاً لما جاء في بيان وزراء الداخلية، ما لم يسانده جهد فكري وثقافي يشارك فيه جميع المؤسسات المعنية بصياغة الثقافة المجتمعية، لن يتمكن الأمن من اقتلاع "جذور التطرف" الغائرة في التربة المجتمعية ما دامت "ينابيع التطرف" تفيض وتتدفق، وهذا ما يفسّر عودة الإرهاب بصورة أكثر بشاعة وتوحشاً.

مازال الإرهاب نشطاً في مناطق عديدة في ديار المسلمين رغم كل الجهود الأمنية المقدرة، ومازال يجتذب إلى صفوفه شباباً وبالذات بعض شباب الخليج واليمن ليصبحوا جنوداً ووقوداً لمخططاته الإجرامية، لا يمكن القضاء على الإرهاب وحماية شبابنا من الانزلاق إلى أحضانه إلا بالعمل الجدي على تفكيك بنية "فكر التطرف والغلو" التي تشكل بوابة "التنظيمات الإرهابية" أفكار التطرف والعنف والغلو وتحتل رؤوساً كثيرة في المجتمع الخليجي، ولها أبواقها ومنابرها ومواقعها الإلكترونية ومنظروها ومفتوها وشيوخها الذين يحرضون ويمجدون ويبررون "تفجير الذات" طريقاً للجنة ووسيلة لحماية كرامة الأمة ورفضاً للتبعية والاستسلام!

وبطبيعة الحال ليس كل متطرف إرهابياً ولكن كل إرهابي، أساسه فكر متطرف، فما التطرف؟ التطرف أو الغلو فكر ينشأ في العقل- أولاً- كما ينشأ فيه السلام والتسامح- شعار اليونسكو منذ -1945 وهو فكر إقصائي استعلائي يعتقد صاحبه أنه يملك الحقيقة كاملة ولا يقبل بنسبية الحقائق السياسية والاجتماعية.

ما مظاهر وسمات التطرف؟ للتطرف سمات أساسية: فرض الرأي على الآخرين، وعدم القبول بهم، والوصاية عليهم، وإساءة الظن بالمخالفين وتأثيمهم وتكفيرهم وتخوينهم، وقد ينتهي الأمر باستحلال دمهم، وهذه السمات إنما تنضح من معين واحد هو "ثقافة الكراهية"، فالتطرف آفة فكرية قديمة بدأت عند الخوارج الذين جسدوا أول تنظيم متطرف في التاريخ الإسلامي وخرجوا بسيوفهم على المجتمع الصحابي بحجة أنهم حكموا الرجال حيث لا حكم إلا لله، لكن لو اقتصر التطرف على صاحبه دون أن يتجاوز إلى التسلط على الآخرين لما كان الأمر مثاراً للاعتراض، بل قد يحمل في حالات على باب الورع والتحوط ومغالبة النفس على الأشد والأصعب، لكن مشكلة المتطرفين الأساسية أنهم لا يقنعون بتطرفهم، بل يريدون فرضه على الآخرين دون اعتبار لهم، بل يتجاوزون ذلك إلى التشكيك في عقائدهم والتفتيش في ضمائرهم وإلصاق تهم العمالة والخيانة بهم، وأنهم تغريبيون علمانيون يريدون هدم ثوابت الدين.

ومما يؤسف له أن تمنح جامعة إسلامية درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف لباحث كفّر في رسالته "الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها" 200 مثقف عربي من دعاة الحداثة والعقلانية والتنوير! كيف تثمر الجهود الأمنية في استئصال فكر الإرهاب مع منح درجة الدكتوراه في التكفير من قبل مؤسسة دينية رسمية؟! عندما تزرع فكر الكراهية في نفوس طلابك تجاه المخالفين في الرأي السياسي أو التوجه الديني فإنك إنما تزرع بذرة التطرف المؤدية للعنف والمنتهية بالعمل الإرهابي... فالتكفير عنف شديد يشحن به نفوس غضّة لم تنل حظها من الحصانة والمناعة، وهو جناية التعليم الأحادي المغلق على طلابنا!

وثاني مشاكل المتطرفين، أن الغلو لو كان مقصوراً على ثوابت الدين المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية والسنّة والشيعة لكان أمراً محموداً، لكن المتطرفين المعاصرين عامة لا يشغلهم شيئ إلا الفرعيات والخلافيات والقشور والمظهريات، يتشددون حيث لا ينبغي أن يكون محلاً للتشدد ولا ميداناً للاحتساب، يتوسعون في الحظر والتحريم ويثيرون معارك حول أمور خلافية، يثيرون الدنيا ولا يقعدونها لأن كاتباً قال: النقاب من العادات لا من العبادات، يستفرغون جهودهم في معارك عقيمة حول تحريم حلق اللحى وتقصير الثياب والغناء والتصوير وعمل المرأة واختلاطها وعدم التشبه بالكفار وحرمة الموالد وتهنئة النصارى وإهداء الورود للمرضى! لا يشغلهم قضايا الأمة الرئيسة: حقوق الإنسان وكرامته، وقضايا الديمقراطية والحرية والشورى والعدالة الاجتماعية! لا يعنيهم جوهر الدين المتمثل في المودة والتسامح و" قولوا للناس حسنا" و"الدين المعاملة"، وقضايا التنمية والإنتاج والنهضة.

فكر الغلو وثقافة الكراهية يشكلان البنية التحتية للعنف والإرهاب، لكن "العنف" يختلف عن "الإرهاب" في أن الإرهاب يستهدف القتل بالجملة أو القتل العشوائي لأكبر عدد من الناس من غير تمييز، أما العنف فقد يكون معنوياً أو لفظياً أو مادياً لكن دون أن يصاحبه بث الذعر والترويع أو التباهي به كما يفعل الإرهابيون.

ولكن كيف يبدأ التطرف وكيف تشحن النفس به؟! يبدأ التطرف بزرع " فكر الكراهية " وثقافة الكراهية في نفسيات عندها "القابلية" للتشدد نتيجة ضعف الحصانة الدينية السليمة وافتقاد المناعة الفكرية العاصمة عن الانحراف، تزرع الكراهية في تلك النفسيات البائسة تجاه مجتمعاتها العربية والإسلامية بحجة أنها ترضى بحكم الطواغيت والقوانين المستوردة ولا تحتكم إلى شرع الله، وتجاه الأنظمة السياسية العربية عامة لأنها لا تطبق الشريعة الإسلامية بحسب المفهوم الضيق المتشدد كما فعلت حكومة "طالبان"، ولأنها تسمح بخروج المرأة واختلاطها، ولأنها تنقاد للغرب الصليبي الكافر والمتآمر ولأنها تضطهد الإسلاميين المجاهدين والدعاة الحقيقيين وتعذبهم في سجونها خضوعاً لإملاءات الغرب وأميركا، كما تزرع الكراهية في تلك النفوس المتوترة تجاه الغرب وأميركا، بل العالم أجمع لأن كل هؤلاء يتآمرون على الإسلام والمسلمين ويتربصون بهم الدوائر ويحتلون ديار المسلمين ويستحوذون على مواردهم وثرواتهم!

ويبقى أن نتساءل: متى وكيف يتحول المتطرف إلى إرهابي؟! الحياة عزيزة على الإنسان وهي نعمة الخالق عز وجل علينا، ولا يمكن لإنسان أن يتخلص من هذه الحياة، ويتحول إلى قنبلة مفخخة أو طرد متفجر أو حزام ناسف إلا تحت تأثير قوة غلابة، هي "عقيدة" تستحوذ على عقله ونفسه، تزين له أن "تفجير الذات" قمة الشهادة والفداء والبطولة! لكي يصبح المتطرف إرهابياً يجب أن يمر بـ"مثلث التطرف" المتمثل في:

1 - عقل مشحون بالعداء والكراهية ضد الآخر، وضد الحياة والأحياء عامة.

2 - نفسية قلقة ومتوترة، عانت عذابات الطفولة وقاست خبرات تنشئة مؤلمة في بيت افتقد الحنان والدفء، أو بيت مفكك بسبب أب معدد لا يعدل، ولم يحسن التربية الآمنة ولم يحبب أولاده بالحياة وحب الناس، لقد تأملت في حياة الشعوب ووجدت أن الشعوب المقبلة على الحياة والحب لا تنتج- أبداً- مفجرين.

3 - بيئة أو مناخ حاضن لفكر الغلو عبر منابر ومواقع وفتاوى تحرّض وتزرع الكراهية وتبرر الإرهاب بأنه رد فعل لمظالم الأنظمة العربية ومظالم الغرب وأميركا تجاه المسلمين!

"الخوارج" القدامى هم السلف الصالح لـ"خوارج" عصرنا، لكن القدامى كانوا أكثر رحمة بالمخالفين، أما خوارجنا فهم أكثر وحشية وضراوة مع أنهم أسعد حالاً من القدامى لأنهم يجدون فضائيات ومنابر ومواقع، بل دولاً تحتضنهم وتتبنى طروحهم العدمية!

كان هذا بعض ما ورد في تسجيل حلقة عن التطرف والإرهاب ضمن برنامج "كشكول" الذي يقدمه الإعلامي الكويتي المتميز يوسف عبدالحميد الجاسم عبر فضائية "الوطن" الكويتية. قال عالم دين سعودي "الغلو وفكر التطرف" أشد خطر يواجه الأمة في عقيدتها وحياتها، وأعتقد أن هذا الكلام صحيح تماماً.

* كاتب قطري

محمد صادق الحسيني *

بين تدبير عبدالله وطيش فيلتمان

ما يمكن أن يساعد كثيرا في تنقية أجواء لبنان من «تلوث» غبار الأطلسي هو تلك الأنباء المتواترة المتسربة من دمشق كما من طهران، والتي تفيد بأن ما حصل في العراق من تفاهمات أطفأت نيران الفتنة، وإن لم تحسم كل الخلافات كما لم تجسّر الثقة بشكل نهائي بين الأطراف.

قليلون هم المتفائلون بإمكانية نجاح المسعى السعودي- السوري لمنع صدور القرار الظني، وذلك على طريق إنهاء ملف المحكمة الدولية "من الأساس" حرصا على منع سفك المزيد من الدماء اللبنانية، ناهيك عن منع اندلاع حرب شاملة في المنطقة قد يقامر في إشعالها مغامرون إسرائيليون للخروج من شرنقة العجز المتمادي لجيش "مهشم الصورة" تتضاءل حياله في استعادة صورة "الجيش الذي لا يقهر"!

لكن نصرالله والأسد من هذه القلة التي لا تزال تتمنى للملك عبدالله بن عبدالعزيز أن ينجح في مشروعه الإصلاحي للمملكة ونظرته الإيجابية للتعاون الإقليمي على حساب مشروع فيلتمان- نتنياهو الذي يمعن في الإيغال في تأجيج صراع "مكونات" البيت الواحد في كل قطر عربي، وتاليا فإنهما- أي نصرالله والأسد- يعتقدان بإمكانية تغلب الملك على فيلتمان لبنانياً على أقل تقدير، شرط أن يساعد اللبنانيون أنفسهم ويتحصنوا بفضيلة الاستماع الى أبناء الوطن الواحد، ويمتنعوا عن الإصغاء كثيرا إلى صدى الأصوات القادمة إليهم من وراء البحار.

العلائم والمؤشرات على ذلك كثيرة، فبالإضافة إلى كل ما نقرؤه ونسمعه من السوريين واللبنانيين على قرب نجاح مساعي الملك العربي، فإن أنباء طهران هي الأخرى تشير إلى نجاحها في توسيع "فتحة" الحوار الإيراني السعودي بعد أن نجحت معادلة "العين عين غين" نسبة إلى الأحرف الأولى من أسماء سفراء سورية وإيران والسعودية في لبنان، من إنجاح مهمة مساعد وزير الخارجية الإيراني محمد رضا شيباني في الرياض والذي كان يشغل منصب سفير بلاده في لبنان، حيث تشير المعلومات المتاحة بأنها كانت مثمرة جدا وأنها ستفضي قريبا إلى لقاء على مستوى وزيري خارجية البلدين ومن ثم إلى قمة سعودية إيرانية بشرط تعثر مهام فيلتمان الذي كلف على ما يبدو رسميا من قبل إدارة بلاده لتخريب أي مسعى إقليمي يهدف إلى تعطيل مفاعيل القرار الظني السيئ الصيت والمحكمة الدولية المخطوفة إسرائيليا.

ما يمكن أن يساعد كثيرا في تنقية أجواء لبنان من "تلوث" غبار الأطلسي هو تلك الأنباء المتواترة المتسربة من دمشق كما من طهران، والتي تفيد بأن ما حصل في العراق من تفاهمات أطفأت نيران الفتنة، وإن لم تحسم كل الخلافات كما لم تجسّر الثقة بشكل نهائي بين الأطراف، يمكن أن يترجم لبنانيا بنسخة معدلة يكون فيها اللاعب اللبناني هو الحكم وتكون له كلمة الفصل أمام ميول الإقليم كما رياح الأطلسي!

العارفون ببعض خفايا الأمور والقريبون من مطبخ صناعة القرار الإيراني يؤكدون أن "السيد القائد" في إشارة إلى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية الإيرانية، كان قد أكد أخيرا وفي أكثر من مناسبة تفويض قائد المقاومة الإسلامية السيد حسن نصرالله في خوض معارك التصدي للعدو الصهيوني سلما أو حربا بناء على المصلحة اللبنانية، كما يراها هو أي نصرالله، وأنه هو من ستكون له الكلمة الفصل في تشخيص المصلحة العامة في شكل التعاطي مع الأحداث المترتبة على أي عدوان صهيوني محتمل، ليس فيما يخص الشأن اللبناني فحسب، والذي هو أمر مفروغ منه، بل فيما يخص أي مصلحة إيرانية مفترضة، سواء تعلق الأمر في شأن العلاقة مع لبنان أو أي طرف عربي آخر، ننقل هذا لمن يأخذ على حزب الله وقائد المقاومة بأنه من حزب ولاية الفقيه، وأنه قد يكون يخوض معاركه بناء على مصالح إيرانية ما.

من ناحية أخرى فإنه يخطئ تماما من يظن أن أحدا من هؤلاء القادة الثلاثة أي السيد القائد أو نصرالله أو الأسد إنما ينظرون إلى معادلات الحكم وتفاصيل المحاصصة أو المفاوضات أو التعاملات الداخلية أو الخارجية في العراق، وكذلك الأمر في أفغانستان بعين الرضا، الأمر ليس كذلك أبدا، لكن الأهم هو أنهم يرفضون في الوقت نفسه تلك النظرة العدمية التي تروج لها رموز الأطلسي وتوابعها الإقليمية بأن كل شيء هناك إنما هو حالك السواد، وكل ما عدا الأميركيين والأطلسيين إنما هم دمى متحركة سلّمت أمورها كاملة لجنرالات الغزو وجنود الاحتلال وبطانتهم الفاسدة والمفسدة!

وعليه فإن ثمة "تدبيرا" خاصا يفترض أن يلجأ إليه الحريصون على الإقليم الإسلامي والعربي الذي يضم قوى متعددة الرؤى صحيح، لكن عليها اليوم واجب التصدي المشترك لطيش فيلتمان ومن يمثل في مخططه الجهنمي الذي يريد تفجير لبنان ليعيد خلط الأوراق في المنطقة بعد مرارة الفشل الذريع لحروب بوش وأوباما في كل من أفغانستان والعراق.

مرة أخرى وعوداً على بدء مع لبنان فإن ثمة إرادة سعودية ومساعي حثيثة يعتقد القادة السوريون واللبنانيون والإيرانيون أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز يبذلها على قدم وساق في محاولة جدية، ليس فقط لإنقاذ لبنان من سيناريو خراب جديد، بل من أجل إنقاذ ما تبقى من نفوذ أو كلمة سعودية مسموعة هنا أو هناك، بل كذلك منعا لما هو أخطر من فتنة طائفية تم وأد مفاعيلها عمليا، وأقل من حرب أهلية لا يجرؤ أحد على إشعالها في ظل وعي عامة اللبنانيين، لكنه قد يكون فصلا جديدا من حياة لبنان الحديث، وقد تكون بدايته ولادة قيصرية لمعالم خريطة جديدة للمنطقة في حال أصر أرباب المحكمة الدولية ومفبركو شهود الزور القدامى والجدد رمي المقاومة الإسلامية وحلفائها بشوكة!

لقد أثبتت الأحداث والتطورات الأخيرة في لبنان أن بارقة الأمل الوحيدة المتبقية لمنع الذهاب إلى المجهول تكمن في الواقع في صيانة وثيقة التفاهم الموقعة بين أمين عام حزب الله لبنان السيد حسن نصرالله وزعيم التيار الوطني الحر الجنرال عون، الوثيقة التي ليس فقط كان لها الفضل في صمود اللبنانيين في وقت الحرب بل هي من حمت حتى الآن باعتراف كل المراقبين والمحللين استمرار التعايش بين سلاح المقاومة والجيش الوطني اللبناني، وهي التي كرست كذلك العيش اللبناني المشترك على مستوى المسلمين والمسيحيين في لبنان.

وهنا ثمة من يجزم بأن مستقبل النظام اللبناني برمته بات اليوم رهنا بالكف عن خدمة مخطط فيلتمان الفتنوي، والذي يعني فيما يعني خدمة مشروع "الشرق الأوسط الجديد" الذي يستبدل اليوم الحرب بالمحكمة الدولية كأداة للانتقام السياسي من المنتصرين في يوليو عام 2006.

ويحذر مطلعون من أن استمرار مثل هذه "الخدمة" المجانية للعدو على قاعدة الرأي والرأي الآخر ستعني اعتبارا مما بعد صدور القرار الظني خيانة عظمى بحق لبنان والعرب مسلمين ومسيحيين، والخيانة العظمى لم تكن يوما وجهة نظر بقدر ما كانت عمى بصيرة وبصر ينال صاحبها أشد أنواع العقاب، أقلها منعه من الاستمرار في فعل الخيانة أيا تكن النتائج، ما يعني الإطاحة بكل نتائج اتفاق الدوحة حتما، وربما تغيير الوضع السياسي في لبنان برمته، كما يردد مقربون من قادة المعارضة الوطنية اللبنانية.

* الأمين العام لمنتدى الحوار العربي الإيراني